

عام جديد . . . وعالم !

. . أجل عام جديد يستقبله الناس في كل بقاع الأرض بين الأمل تارة ، والبأس تارة أخرى . يستقبلونه وأرجلهم على شفا هاوية سحيقة . وأيديهم متعلقة بجبال الأمل ، ينظرون إلى عل لعل في الأمل عزاء ، ويغمضون الأعين عن الهاوية خشية أن يصابوا بالدوار . إن أحداث السياسة في العالم ، وتيارات المبادئ ، الداعية إلى السلام ، تتلاطم في خضم المؤتمرات ، ولا يفتأ السيرون لدقة هذا العالم ، والمسيطرون على أحواله ومصائره ، يتقارعون بسلاح الخطب والبيانات ، ينادون من أعلى المنابر ، بأن الخير للإنسانية إذا ما جنح الجميع للسلم والسلامة ، ولكنهم يتكئون على أعمدة من أسلحة الهول والفرع ، يزيد من بشاعتها ، إن العالم لا تزال تطن في آذانه أحداث عاش فيها قرابة ست سنوات ، عاشها بين المرارة والألم والدماء والدموع ، عاشها سنوات عجافاً ، إلا مائتات به المدن والقرى من لهيب الحزم ، وأشلاء المجندين .

وإن العالم في معركته هذه معركة الدعوة إلى السلام ، وسط بركان شواظه التطاحن على المصالح أولاً ، والنفوذ ثانياً ، يرتفع صوت الضعفاء الذين أضناهم بغى العتاة ، والذين بدأت أعينهم تفتح على نور الحياة ، يدعون إلى الخير ، ويأمرون إلى التفاهم بالمعروف ، إن دعوتهم سبيلها الحكمة والوعظة الحسنة ، ولكنهم يتعاملون في سوق لا تعترف إلا بعملة القوة .

إن حروب الماضي كانت سعيًا وراء النفوذ والسلطان ، ولكنها اليوم حروب اقتصادية ، مادتها ولحمها الإبقاء على المنافع ، أو توسيع رقعة التعامل . وأصبحنا لانسمع أن للدول هذه نفوذاً سياسياً في القطر الفلاني ! فحسب ، ولكننا نسمع قبل ذلك أن لها منافع اقتصادية تريد المحافظة عليها ، والإبقاء على مصادر بقائها .

لقد جرب الإنسان ، حتى في أحداثه المفردة ، أن يعيش في الخطر خير من انتظاره . فالإنتظار يزعزع في النفوس كل رواسي الأمل ، ويستشري المرض في جذور أشجاره المباركة ، ولكن الخطر ، وفي الخطر ذاته ، لا مناص من أن تقرر النفس مصيرها ، وهي عالمة أن أمامها حلان ، إما الفناء وإما البقاء .

والعالم اليوم تمثل فيه هذه الحالة ، فالحرب لا تعرف نوعين من الحياة تدعو لهما ، فهي ليست خيراً ونعياً مقيماً لبعض الناس ، وجحماً لبعضهم الآخر ، ولكنها دموع ودماء وعرق يسبح الناس في بحارها .

فاللهم اجعل هذا العام عاماً هادياً للداعين إلى الفناء ، وعونا للدعاء المناهين لحب البقاء .